



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات  
Arab Center for Research & Policy Studies

عام على السابع من أكتوبر: تحليلات استراتيجية | 10 تشرين الأول/أكتوبر، 2024

## الجدار والطوفان

تداعيات السابع من أكتوبر على الأمن الوجودي لإسرائيل

تحليل استراتيجي رقم 11

مهند مصطفى

وحدة الدراسات الإستراتيجية

# الجدار والطوفان: تداعيات السابع من أكتوبر على الأمن الوجودي لإسرائيل

سلسلة: عام على السابع من أكتوبر: تحليلات استراتيجية

تحليل استراتيجي رقم 11

وحدة الدراسات الإستراتيجية

10 تشرين الأول / أكتوبر، 2024

مهند مصطفى

باحث في المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية في حيفا "مدى الكرمل". حاصل على الدكتوراه من مدرسة العلوم السياسية في جامعة حيفا. نشر العشرات من الكتب والمقالات الأكاديمية المحكمة باللغات العربية والإنكليزية والعبرية، من ضمنها مجموعة من المقالات الأكاديمية في دوريتي "سياسات عربية" و"تبيين" الصادرتين عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2024

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقتها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعائن، قطر

هاتف: +974 40354111

[www.dohainstitute.org](http://www.dohainstitute.org)

# المحتويات

1	مقدمة
1	الجدار الحديدي ومنظومة الردع
2	طوفان الأقصى وتصدّع الجدار الحديدي حتى الانهيار
3	تحولات النظرية الأمنية في أعقاب الحرب على غزة
4	التداعيات الاستراتيجية
5	خاتمة
6	المراجع

## مقدمة

شكلت عملية طوفان الأقصى ضربة قاتلة لفكرة الجدار الحديدي الإسرائيلية، التي تأسست على مفاهيم القوة العسكرية الهجومية والدفاعية، وانبثقت منها منظومة الردع الإسرائيلية. وتحاول إسرائيل بوحشية ترميم جدارها الحديدي من خلال العدوان على قطاع غزة ولبنان، لما يحمله تصدع الجدار من تهديد وجودي للدولة، وهو ما تناقشه هذه الورقة. وليس من قبيل الصدفة أن يطالب رئيس الحكومة الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2024، بتغيير اسم الحرب/العدوان من "السيوف الحديدية" إلى حرب "النهضة" أو "القيامة"، استحضاراً لأحد الأسماء التي أطلقت على حرب "استقلال" إسرائيل عام 1948، في دلالة على أنها تعيش لحظة فارقة من تأسيس ثانٍ لوجودها؛ فإذا كانت حرب النهضة عام 1948 ردًا على الكارثة اليهودية، فحرب النهضة الثانية هي الرد على كارثة طوفان الأقصى.

اعتمدت فكرة "الجدار الحديدي" على مقالين للقيادي في الحركة الصهيونية، زئيف جابوتنسكي، نُشرا في تشرين الثاني/ نوفمبر 1923. شكلت فكرة الجدار العمود الفقري لعقيدة الأمن الصهيونية - الإسرائيلية<sup>1</sup>. وتتمحور هذه الفكرة حول مفهوم القوة العسكرية؛ أي إنَّ على المشروع الصهيوني الاعتماد على القوة العسكرية المتفوقة على العرب، وإلحاق الهزيمة بهم حتى يصلوا إلى نتيجة مفادها أنه لا يمكنهم هزيمة المشروع الصهيوني، وعليهم أن يقبلوه. ففي مقال له بعنوان: "حول الجدار الحديدي: نحن والعرب"، يكتب جابوتنسكي، "استيطاننا يجب أن يتوقف أو يستمر بخلاف إرادة السكان الأصليين، وبناءً على ذلك فإنه يمكنه التوسع والتطور فقط من خلال قوة حامية، والتي ليست متعلقة بالسكان المحليين؛ إنه جدار حديدي لا يمكن للسكان المحليين إحداث تصدع فيه"<sup>2</sup>.

وخلافاً للخطاب السائد في المجال العمومي الإسرائيلي، وفي صفوف النخب السياسية، فإن جابوتنسكي يقرّ في مقالاته بأن الصهيونية مشروع استعماري، وأنّ الفلسطينيين سكان البلد الأصليين، وأنهم سيستمرّون في مقاومة هذا المشروع ولن يقبلوه، لكن بصدّ هجماتهم المرة تلو الأخرى فقط وهزيمتهم المتكررة سوف يقبلون هذا المشروع. بناءً على ذلك، تقوم كل فكرة الجدار الحديدي على القوة والمناعة العسكريتين، وقتل الأمل لدى العرب والفلسطينيين في قدرتهم على إلحاق الهزيمة بالمشروع الصهيوني في فلسطين.

## الجدار الحديدي ومنظومة الردع

اعتمدت إسرائيل منذ تأسيسها على فكرة الجدار الحديدي، وتعتمد على تفوقها العسكري على العرب. وإذا كانت فكرة الجدار قد انطلقت من الهجوم والانتصار في الحروب والمواجهات ضد العرب والفلسطينيين لإجبارهم على قبول واقع وجود دولة يهودية في المنطقة، بل والتصالح معها، فقد تطورت فكرة الجدار لتشمل الدفاع أيضاً؛ وهي تعني تحييد وإحباط تأثير القدرات الهجومية للعرب والفلسطينيين في النيل من إسرائيل مجتمعاً ودولةً. وإذا كان معنى الجدار في العقود الأولى قد أخذ بُعْدًا مجازياً للقوة العسكرية الغاشمة، فإن معناه اليوم يحمل أبعاداً تجريدية تتمثل في بناء طبقات الدفاع المتعددة حول الدولة، ومن الجدر والعوائق تحت الأرض وفوقها، وطبقات الدفاعات الجوية المتعددة (من القبة الحديدية إلى "الحيتس 3")؛ الأمر الذي حوّل إسرائيل إلى ثكنة عسكرية محصنة بجدار حديدي تحت الأرض وفوقها وفي السماء بالمعنى المجرد للكلمة. بناءً على ذلك، ما عادت منظومة الردع الإسرائيلية تعتمد على القدرات الهجومية

1 Avi Shlaim, *The Iron Wall: Israel and the Arab World* (New York/ London: W. W. Norton & Company, 2000).

2 ترجمة ذاتية عن النص العبري. ينظر: زئيف جابوتنسكي، "حول الجدار الحديدي: نحن والعرب"، معهد جابوتنسكي، ص 197، شوهد في 2024/10/9، في: <https://tinyurl.com/336at9sm> (بالعبرية)

فحسب، بل أيضًا على القدرات الدفاعية؛ فكما أن الهجوم يهدف إلى جعل الخصم يدفع ثمنًا باهظًا في حالة تهديد إسرائيل، فإن الدفاع يرمي إلى كسر إرادة الهجوم لديه، لأنه لن يحقق إنجازًا بهجومه، وسيدفع ثمنًا باهظًا بلا مقابل، بسبب منظومة الدفاعات الإسرائيلية.

أثبت الجدار الحديدي مرةً تلو الأخرى فشله في إخضاع الفلسطيني بالاستسلام وقبول المشروع الصهيوني. ولم تنجح فكرة الجدار - التي كان من المفروض أن تكون مرحلة مؤقتة، يخضع خلالها الفلسطيني بعد تحقيق المشروع الصهيوني بتأسيس دولة لليهود في فلسطين - على مدار 100 عام (1923-2023) في أن تجعل الفلسطيني يستسلم للمشروع الصهيوني والحالة الاستعمارية المستمرة في فلسطين. ومن الأخطاء التي وقع فيها جابوتنسكي عدم رؤيته تناقض مصالح المشروع الاستعماري مع وجود السكان الأصليين كما يسميهم ومصالحهم، بل اعتبر أن معارضة الاستعمار هي مسألة عاطفية، سرعان ما تتلاشى عندما يتجذر المشروع الاستعماري في الأرض.<sup>3</sup>

إذًا، انطلقت فكرة الجدار الحديدي من أن تحقيق مشروع الدولة يكون بالقوة العسكرية، لكن سرعان ما فهم قادة إسرائيل أن تأسيس هذه الدولة لن يجبر العرب على قبولها، ولم يخضع الفلسطيني لها، فاستمرت عقيدة الجدار في الانطلاق من السلام مع العرب تحققه القوة العسكرية فقط.<sup>4</sup>

## طوفان الأقصى وتصدّع الجدار الحديدي حتى الانهيار

في تشرين الثاني/نوفمبر 2023، نشر زئيف جابوتنسكي (حفيد جابوتنسكي) مقالاً أشار فيه إلى أن تصدعات برزت في الجدار الحديدي منذ اتفاق أوسلو (1993) ووصلت إلى ذروتها في عملية طوفان الأقصى (2023)، وبناءً عليه، فإن على إسرائيل سدّ هذه الثغرات في الجدار.<sup>5</sup> ينطلق هذا المقال من المقاربة اليمينية المتطرفة للجدار الحديدي، ويعتبر أن التحولات التي حدثت منذ أوسلو أحدثت تصدعات في الجدار وأهمها التنازل عن مناطق من "أرض إسرائيل" لصالح الفلسطينيين، وهو تحول يتناقض مع المفهوم التقليدي للجدار الحديدي.

شكلت عملية طوفان الأقصى تصدّعًا عميقًا في الجدار الحديدي الإسرائيلي، وذلك على مستويين مهمين: الأول يتمثل في كسر الحاجز الدفاعي الحصين الذي فصل بين غزة وإسرائيل، على الرغم من الموارد الكبيرة التي بُذلت في بناء هذا الحاجز، ليكون منيعًا وقادرًا على صدّ هجمات على إسرائيل، والإنذار المبكر لأي هجمات في الأفق؛ والثاني، يتمثل في إظهار إسرائيل دولةً هشة عسكريًا، على الأقل خلال هذه العملية، وقد احتاجت إلى ضمان أميركي موثوق لأمنها في اليوم الأول من العملية، تمثل في كلمة الرئيس الأميركي جو بايدن "لا تفعلوا" (Don't).

اعتمدت منظومة الأمن القومي الإسرائيلية التقليدية على ثلاثة مفاهيم معروفة: الردع، والحسم، والإنذار المبكر. وانبثقت منها مفاهيم في الرؤية الأمنية - العسكرية الإسرائيلية التي تعتمد على فكرة تنفيذ/نقل المعارك إلى ساحات يسيطر عليها الأعداء، وجاهزية مدنية للخدمة العسكرية، والتي انطلقت منها منظومة الاحتياط الإسرائيلية، وعدم إطالة المعارك العسكرية وحسمها سريعًا.

3 دان بن يشاي، "جابوتنسكي والأخطاء: 100 عام على الجدار الحديدي"، **سيحا كوميت**، 2023/11/7، شوهد في 2024/10/9، في: <https://tinyurl.com/45yv6bce> (بالعبرية)

4 Avi Shlaim, "The Iron Wall Revisited," *Journal of Palestine Studies*, vol. 41, no. 2 (2012), pp. 80 - 98.

5 زئيف جابوتنسكي، "أحدثنا تصدعات في 'الجدار الحديدي' وعلينا إغلاق الثغرات"، **يسرائيل هيوم**، 2023/11/5، شوهد في 2024/10/9، في: <https://tinyurl.com/5axkmzsa> (بالعبرية)

ظلّ هذا التفكير مهيمناً وسائداً لعقودٍ طويلة، غير أنه أصبح واضحاً أنها ملائمة للحروب التقليدية، وليس للحروب الجديدة (غير النظامية)، والتي تندلع بين جيش نظامي وتنظيم عسكري مسلح، حتى لو تبني بعض مركّبات الجيش النظامي.

لم تعهد إسرائيل الحروب الجديدة لأول مرة في العدوان على قطاع غزة في تشرين الأول/ أكتوبر 2023، بل جربتها منذ سبعينيات القرن العشرين، لكنها كانت هي التي تبادر بشن الحملات العسكرية أو الحروب على التنظيمات المسلحة، لا سيّما الفلسطينية. وفي حالتين، عدّت إسرائيل حملاتها العسكرية على تنظيمات عسكرية حروباً، وكلاهما كانتا في لبنان: الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، وفي تموز/ يوليو 2006.

غيّرت الحروب الجديدة من نظرية الأمن الإسرائيلية، وغيّرت معها مركّباتها الثلاثة (الردع، والحسم، والإنذار المبكر). فلم يكن هنالك ضربة أو عملية تستطيع أن تحقق على الإطلاق فكرة ردع التنظيمات العسكرية، كما غابت فكرة الحسم؛ أي الوصول إلى مرحلة يمكن القول بعدها إن إسرائيل حسمت المواجهة. ولذلك، ظلّت المعارك والحروب الجديدة محل سجال داخلي بشأن نجاحها أو إخفاقها. ويعني بقاء هذا السجال عدم الاتفاق على أن إسرائيل حسمت المواجهة مع ما يُسمى إسرائيلياً صورة نصر تُعبّر عن هذا الحسم، على غرار صورة الحسم التي ظلت عالقة في الوعي الإسرائيلي من حرب حزيران/ يونيو 1967، بدخول قوات المظليين البلدة القديمة في القدس ووقوفهم قرب الحائط الجنوبي للحرم القدسي الشريف (الذي يطلق عليه حائط المبكى).

## تحولات النظرية الأمنية في أعقاب الحرب على غزة

كُتب الكثير عن الصدمة الإسرائيلية الناجمة عن عملية طوفان الأقصى؛ فقد حملت العملية انهياراً لفكرة الردع التي سادت في أوساط النخب السياسية والعسكرية، والتي انطلقت من أن حركة المقاومة الإسلامية "حماس" تحولت إلى سلطة بالكامل، وأنها لن تتجه إلى التضحية بمواردها الحكومية، فضلاً عن أن إسرائيل استطاعت عبر العمليات العسكرية المتتالية ضد حماس أن تردع الحركة التي باتت تتصرف وفق التقديرات الإسرائيلية على أنها تنظيم سلطة وليس تنظيم مقاومة. وفشلت كذلك أنظمة الإنذار المبكر التي زرعتها إسرائيل على الحدود مع قطاع غزة، وانهار معها الجدار المانع الذي بنته إسرائيل هناك.

لقد كشفت الحرب على غزة أعطاباً في الرؤية الأمنية الإسرائيلية، وكان أهمها الإهمال الذي كان في وحدات المشاة عموماً، وفي منظومة الاحتياط خصوصاً<sup>6</sup>. لقد تمحورت هذه الرؤية الأمنية لسنوات حول تطوير الوحدات القتالية "النوعية"، مثل سلاح الجو، والوحدات التكنولوجية في الجيش، وذلك انسجماً مع أولويات خريطة التهديدات التي وضعتها إسرائيل، والمتمثلة أساساً في المشروع النووي الإيراني، والتحضير لضرب المنشآت النووية الإيرانية؛ إما مباشرة عبر عمليات عسكرية تعتمد على سلاح الجو الإسرائيلي بمكوناته المختلفة، وإما بصفة غير مباشرة بتخريب المشروع النووي وتعطيله وإعاقته بوساطة عمليات نوعية استخباراتية وسبيرانية.

أعاد العدوان على غزة من جديد أهمية سلاح المشاة في الجيش الإسرائيلي، ولمنظومة الاحتياط خصوصاً التي أهملت في العقود الماضية لصالح الوحدات القتالية النوعية<sup>7</sup>. واكتشف الجيش أنه ينقصه آلاف الجنود للمجهود العسكري، وظهرت مسألة تجنيد المتدينين اليهود - الحريديم باعتبارها مسألة "حياة أو موت"، وليس مسألة اقتصادية - اجتماعية، كما أطرتها قبل الحرب الشرائح التي تخدم في الجيش<sup>8</sup>.

6 غاي حزوت، جيش الهايتك وجيش الفرسان: كيف تنازلت إسرائيل عن جيش المشاة (تل أبيب: منشورات وزارة الدفاع، 2024). (بالعبرية)

7 كل الشعب جيش؟ خدمة الاحتياط في إسرائيل (القدس: المعهد الإسرائيلي للديمقراطية وجيش الدفاع الإسرائيلي، 2022). (بالعبرية)

8 غبرائيل غوردون وشلوميت ريبينسكي، "حجم وتكاليف الاحتياط في حالة دمج الحريديم في الخدمة النظامية والاحتياط"، المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، 2024/4/9، شوهد في 2024/10/9، في: <https://tinyurl.com/rbd4c62u> (بالعبرية)

غير طوفان الأقصى مفهوم الحرب الجديدة؛ فهو لم يكن ضمن مكوّناتها، كما لم يقع ضمن مكونات الحروب القديمة، بل يدمج بين مركّبات متنوّعة. بين الطوفان ومعارك العدوان على غزة أن إسرائيل استعدت لهذا النوع من الحروب في المركّب الدفاعي منها بالأساس؛ أي تطوير منظومات دفاعية تستهدف الصواريخ التي تملكها حماس.

عزّز العدوان على غزة، وعملية طوفان الأقصى، من عقلية القلعة المحكّمة الإغلاق، حيث تسعى إسرائيل لبناء عائق حُدودي على الحدود الشرقية مع الأردن، والسيطرة على محور فيلادلفيا (صالح الدين)، وذلك إضافةً إلى طبقات الدفاع الجوي التي تملكها.

وتدخل هذه العقلية إلى فكرة الجدار الحديدي، والتي تنطلق من أن القوة العسكرية تخدم هدف إخضاع الفلسطينيين، وهي تنسجم مع المقولة الدارجة في إسرائيل: "ما لا يأتي بالقوة، يأتي بمزيد من القوة". وتندرج كذلك فكرة الجدار في ما عبّر عنه نتنياهو، بعد اغتيال أمين عام حزب الله، حسن نصر الله، بأن إسرائيل ستغير الواقع الاستراتيجي في الشرق الأوسط. وطبعاً يأتي هذا التغيير في نظره باستعمال القوة، وإظهار إسرائيل دولةً قوية عسكرياً؛ فالقوة العسكرية هي التي ستجلب العرب ليعقدوا اتفاقيات سلام معها.

## التداعيات الاستراتيجية

يمكن الإشارة إلى مجموعة من التداعيات الاستراتيجية لطوفان الأقصى، والعدوان على غزة، على فكرة الأمن القومي الإسرائيلي التي لا يمكن فصلها عن التحولات السياسية الداخلية في إسرائيل:

1. تعميق فكرة الجدار الحديدي؛ فعملية طوفان الأقصى ستعزز فكرة الجدار في الفكر الإسرائيلي، وذلك من خلال مراكمة القوة العسكرية في السنوات المقبلة، عبر زيادة الإنفاق الحكومي على الأمن القومي، وبناء وتطوير المزيد من التحصينات الدفاعية على الحدود وفي الجو. فالقوة الإسرائيلية ستكون غاشمة، ذلك أن وجود إسرائيل وحضورها في المنطقة يتطلب منها أن تكون أكثر قوةً وأشدّ دفاعاً، وتحويل القوة إلى قوة غاشمة لا تتقيد بضوابط أخلاقية، أو إجراءات واعتبارات قانونية وإنسانية، وكأنها لحظة مؤسّسة جديدة لإسرائيل، تعود بها إلى المحطة الأولى وهي بناء قوة جديدة رادعة، يمكن تسميتها "قوة نكبوية"، لا تكتفي بالحق الضرر أو الهزيمة بالطرف الآخر، بل تدمير البنى التحتية لحياته واستمرار وجوده. ستحاول إسرائيل أن تمارس مفهوم الجدار الحديدي بعدوانية، بحيث تتحول إلى قوة غاشمة، حتى تعيد الاعتبار لمنظومة الردع بتوظيف هذه القوة في إدارة الجبهات الأخرى؛ وهو ما حدث خلال العدوان على لبنان من استعمال للقوة الغاشمة ضد دولة ذات سيادة وعضو في الأمم المتحدة، من دون أي ضوابط أخلاقية ودولية وقانونية. فاستخدام إسرائيل لهذه القوة هو السبيل الذي تراه لإعادة ترميم منظومة الردع، والعودة إلى اللحظة التي سبقت السابع من تشرين الأول/ أكتوبر.

2. ستحاول إسرائيل أن تعيد القضية الفلسطينية إلى مرحلة ما قبل أوصلو من حيث الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما يمكن أن نطلق عليه "الاحتلال الجديد" للمناطق الفلسطينية 1967، وليس الاحتلال من جديد. ويعني ذلك السيطرة العسكرية والأمنية على قطاع غزة، وتعميق هذه السيطرة على جميع مناطق الضفة الغربية، مع وجود حكم محلي فلسطيني يدير شؤون الناس المدنية فقط تحت السقف الأمني والعسكري الإسرائيلي. وبذلك ستحاول محو كل ما تبقى من إسقاطات اتفاق أوصلو (1993-1994) وشطبه، والانفصال عن قطاع غزة (2005)، باستثناء إبقاء حكم فلسطيني، حتى لا تتحمل تبعات الناس مدنياً وخدمياً بصفاتها دولة احتلال.

3. تحويل المناطق التي تسيطر عليها إسرائيل إلى حصن وثكنة عسكرية تُسيطر فيها على جميع الحدود التي تقع تحت نفوذها، وتكثيف منظومات الدفاع والإنذار على هذه الحدود، مما يستدعي التحكم الإسرائيلي في محور فيلادلفيا من جديد، وبناء الجدار الفاصل على الحدود الشرقية مع الأردن، وبناء الحواجز الداخلية التي تُعمِّق عملية تقطيع أوصال المجتمع الفلسطيني.

4. ترميم تصدعات في الجدار الحديدي متعلقة بالداخل الإسرائيلي، ومنها تطوير منظومة الاحتياط في الجيش، ولكن الأهم في ذلك إنتاج منظومة أمنية تعتمد على الحروب الطويلة والنفس الطويل والصبر لإنجاز أهداف الحروب والمعارك العسكرية. وقد يشمل ذلك دفع أثمان بشرية ومدنية في المجتمع الإسرائيلي. ظهر هذا الأمر في العدوان على غزة؛ إذ تحمّلت إسرائيل حرباً طويلة، هي الأطول في حروبها، تخلّت خلالها عن أولوية تحرير الرهائن والأسرى الإسرائيليين لصالح الأهداف العسكرية والأمنية.

## خاتمة

ضربت عملية طوفان الأقصى منظومة الجدار الحديدي في مركّبه المركزي المتعلق بالردع، والذي يتمحور في أبعاده الدفاعية من جهة، والهشاشة العسكرية من جهة أخرى؛ وهي الضربة الأضعف لمفهوم الجدار منذ عام 1948، بما انطوت عليه من اجتياح أراض تحت السيادة أو السيطرة الإسرائيلية، والسيطرة عليها عدة أيام، وإنتاج حالة من الإرباك المؤسساتي في الدولة، بدءاً بمؤسسات الدولة المدنية وانتهاءً بمؤسساتها الأمنية والعسكرية.

كانت صدمة طوفان الأقصى عميقة في الوعي الإسرائيلي، حوّلت إسرائيل إلى دولة في حالة حرب "استقلال" جديدة كما تم تأطير ذلك في الخطاب الإسرائيلي، أو حرب وجودية. ولم تعنِ الحرب الوجودية أنّ عملية الطوفان كانت ستؤدي إلى تدمير دولة إسرائيل، بل كشفت هشاشة الجدار الحديدي، وهي مسألة استراتيجية تتعلق بوجود إسرائيل دولةً رادعةً ومهيمنة في الإقليم باعتماد القوة العسكرية بالأساس. فتصدّع الجدار الذي كشفت هذه العملية يبعث رسالة عن هشاشة هذه الدولة ومؤسساتها. لذلك جاء رد الفعل الإسرائيلي رداً نكبوياً، إن صح التعبير، من خلال استعمال مفهوم القوة الغاشمة التي تعيد إلى الأذهان اللحظة المؤسسة لإسرائيل عام 1948.

وحينما أعلنت إسرائيل أنها تخوض حرباً وجودية، لم يعنِ الأمر أن تنظيماً المقاومة الفلسطينية - وعلى رأسها حماس - كانت تستطيع تدمير دولة إسرائيل أو ترمي إليه، وإنما لكونها أحدثت تصدعات عميقة في الجدار الحديدي، الذي هو جوهر قوة إسرائيل ومعنى وجودها في المنطقة.

إلى جانب العمل الثأري والانتقامي من غزة، المكان والإنسان، فإن الفعل العسكري كان من أجل ترميم الجدار الحديدي، من خلال استعمال مفرط للقوة، وتحوّلها إلى قوة غاشمة بكل ما تحمل الكلمة من معنى. ونقلت إسرائيل هذه القوة إلى الضفة الغربية، باستعمال مفرط للقوة في مواجهة الكتائب الفلسطينية المسلحة في المخيمات الفلسطينية، ومحاولة بعثرة المخيمات وإنتاج صورة نكبة جديدة في الوعي الفلسطيني. وانتقلت القوة الغاشمة إلى لبنان، وسورية، والعراق، واليمن، وإيران. فالقوة العسكرية هي التي تضمن لإسرائيل موقعها، وهي السبيل لبقائها، إنها إذًا عودة منطرفة إلى الجدار الحديدي.



## المراجع

### العبرية

حزوت، غاي. **جيش الهايتك وجيش الفرسان: كيف تنازلت إسرائيل عن جيش المشاة**. تل أبيب: منشورات وزارة الدفاع، 2024.

غوردون، غبرائيل وشلوميت ربيتسكي. "حجم وتكاليف الاحتياط في حالة دمج الحريديم في الخدمة النظامية والاحتياط". **المعهد الإسرائيلي للديمقراطية**. 2024/4/9. في: <https://tinyurl.com/rbd4c62u>

**كل الشعب جيش؟ خدمة الاحتياط في إسرائيل**. القدس: المعهد الإسرائيلي للديمقراطية وجيش الدفاع الإسرائيلي، 2022.

### الأجنبية

Shlaim, Avi. *The Iron Wall: Israel and the Arab World*. New York/ London: W. W. Norton & Company, 2000.

\_\_\_\_\_. "The Iron Wall Revisited." *Journal of Palestine Studies*. vol. 41, no. 2 (2012).